

الخطبة الرابعة والثلاثون الخط في فهم النصوص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما بعد ...

في الشريعة الإسلامية المباركة تفريق بين الذنوب والمعاصي والآثام والفواحش والمنكر والشرك والكفر والجحود والنكران ... هناك فرق كبير، وهناك آيات وأحاديث تخص الطرفين المذكورين ... ولكن بعض من يدعي العلم يخلط بين هذين الأمرين ويأخذ من النصوص القرآنية أو النبوية التي تخص طرفاً ويطبقها على الطرف الآخر ... أو أن بعض الألفاظ القرآنية والتي تخص طرفاً واحداً فقط فيطبقها على الطرف الآخر ... حيث إني ذكرت ذلك فدعني أستخدم اللفظ القرآني (حبط) والتي تخص الشرك والكفر والجحود والكراهية المخرجة من الملة أو الاستهتار المخرج من الملة أو الاستهزاء والسخرية المخرجة من الملة فيضع كلمة (حبط) مع المعاصي والذنوب أو الكبائر ... وهذا هو الخلط الشنيع الذي أقصده ... فمثلاً قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 47 / 33]، ولا تبطلوا أعمالكم إذا كذبتهم ورددتم ما جاءكم من عند الله ومن عند رسولا لله، قال أطيعوا طاعة قبول وإذعان وحب ويقين، فإذا لم تقبل ولم تدعن ولم تحب ولم تكن متيقناً من أوامر الله تعالى وتشريعه في كتابه وعلى لسان رسوله فقد بطل عملك وأصبحت من الخاسرين، ومن فسر لا تبطلوا أعمالكم بالذنوب والآثام فقد أخطأ، ودليل ذلك الآية التي بعدها حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: 47 / 34]، فتبين أن إبطال الأعمال يكون بالكفر والصد عن شريعة الله أياً كانت عقيدة أو أحكاماً، وقد بين الله تعالى ذلك في بداية السورة فقال: ﴿وَالَّذِينَ

كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ [محمد: 47 / 8 - 9]، كرهوا كراهية مخرجة من الملة لأنه أتبعها بكلمة (فأحبط أعمالهم) كلمة (حبط) تدل على الفساد والبطلان. وقال الليث: الحبط وجع وانتفاخ في بطن البعير يؤدي إلى وفاته من أكله شيئاً ضاراً، فيقال: حبط البعير أي انتفخت وماتت وأخذ من ذلك أن عمل المنافق والمشرك والمكذب والكاره لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ولما جاء به رسول الله، فهذا يهلكه ويجعله خالداً في جهنم ...

ولو استعرضنا الآيات لوجدنا الأعمال التي استخدمت فيها كلمة (حبط) ومشتقاتها وقد وردت مادة هذه الكلمة في القرآن في (16) موضعاً.

1. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَاوِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: 217].

2. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: 21].

3. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَدْمِيرٌ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَعَنُوكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبِرُوا خَيْرِينَ ﴿٥٣﴾ [المائدة: 51 - 53].

4. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٧﴾ [الأعراف: 7 / 147].

5. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ؕ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [التوبة: 9 / 17].

6. قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا مَوَالِيَهُمْ وَأُولَادُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا

- أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾ [التوبة: 9/ 69].
7. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حِطَّ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5 / 5].
8. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأَنْعَام: 88 / 6].
9. قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: 11 / 15-16].
10. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّوْا آيَاتِي وَرُسُلِي هُرُوا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: 18 / 105 - 106].
11. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ لُغُوفُ سَلْفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: 33 / 19].
12. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: 39 / 65 - 66].
13. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: 47 / 9].
14. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: 47 / 28].
15. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿٣٢﴾﴾ [محمد: 47 / 32].
16. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجرات: 49 / 2].
- وأريد أن أخص الأعمال التي توقع الإنسان في الخسران المبين وتبطل ما له من أعمال يعتقد أنها حسنة وذلك لكي نتجنب هذه الموبقات ونتجنب الخسران

المبين، أعاذنا الله وإياكم من محبطات الأعمال (1). الارتداد عن الدين، ويكون ذلك بالسب والشتم للمقدسات من سب الله -والعياذ بالله- أو سب الرسول أو الدين أو القرآن، أو ردّ آيات القرآن وتكذيبها، أو ردّ الأحكام الشرعية المجمع عليها، أو (2). الاستهزاء بالدين وشعائره، (3). محبة غير شرع الله تعالى وتفضيل غيره عليه، (4). الشرك الأكبر والكفر بالدين أو بأحد المعتقدات الدينية المجمع عليها، أو الأحكام الشرعية المجمع عليها، أو ما عُرف من الدين بالضرورة ... (5). والتكذيب بالآخرة أو بالغيبيات، هذه هي الأمور الأساسية فمن أتى بها -والعياذ بالله- لم تنفعه صلواته وصيامه إلا أن يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى ... قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْنِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: 9 / 65 - 66]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: 18 / 103 - 106]، وقال تعالى موضحاً حالهم يوم القيامة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: 14 / 18]، تصور أن أعمالهم أصبحت كالرماد تعصف بهذا الرماد الشديدة في يوم عاصف، هل يبقى من هذا الرماد شيء؟ كذلك أعمالهم لا يبقى منها شيء وذلك لأنهم ارتكبوا الكفر والشرك والردة وإنكار الحق، واتباع الباطل، وكرهية الشرع والحق، ومحبة الكفر والباطل وأهله، فقال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ مَنَعْنَا كَفْرَهُمْ وَقَدَّمْنَا لَكُمْ آلِهَةً مَثْبُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 25 / 23]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: 24 / 39]، والسراب هو انعكاس للشمس فقط، ولا وجود له في الحقيقة فهذا تصوير أشدّ وأبلغ لأن الرماد في الآية التي قبله هو شيء، والهباء في الآية هو أيضاً شيء ولكن السراب لا شيء ولا حقيقة له، وكذلك أعمالهم يوم القيامة هي كالسراب لا تفيدهم شيئاً لأنها

حبطت وزهبت ولم يبق منها شيء والعياذ بالله، فإياك يا عبد الله أن تشرك مع الله أحداً في عبادتك وفي دعائك أو في تضرعك أو توسلك وقد أسس لهذا الرسول ﷺ عندما قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» صحيح الترمذي

الأملك بيد الله تعالى، والمقادير بيده، له الحكم والأمر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: 54 - 55]، ادعوه هو فقط، توسلوا إليه فقط، اسألوه فقط، توكلوا عليه فقط، حب الله ورسوله فقط في المنزلة والدرجة لقوله رضي الله عنه: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه. والإخلاص من المهمات اللازمات، وهذا من التوحيد، وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرايت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا شيء له، فأعاد عليه ثلاثاً كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا شيء له ثم قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه» أبو داود والنسائي.

وإياك يا عبد الله أن تتألى على الله تعالى، فلا تتجاوز حدودك، ولا تفرض رأيك ولا تلزم ربك بما تراه، ولا تكن حاكماً على قلوب العباد وضمائرهم، ولا تتولى مصيرهم، فالله سبحانه وتعالى هو الولي وهو الحاكم وهو الذي يقضي بين العباد، وهو الذي يعلم السر وأخفى، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان... وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟ قد غفرت لفلان وأحببت عملك» مسلم (2621).

وهذا يدخلنا في إشكالية أخرى كبيرة، وهي القول على الله وعلى رسوله بغير علم، والقول في دين الله تعالى بغير علم، وإعطاء الفتاوى والآراء والتفاسير الحديثية بغير علم ولا تثبت، والقول بالرأي من الأمور المذمومة جداً، فعن عبيد الله بن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أجرؤكم على الفتيا، أجرؤكم على النار» رواه الإمام الدارمي، وقال عليه السلام: «إن كذباً عليّ ليس ككذبٍ على أحد، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» البخاري (1229)، وقال عليه السلام: «من حدّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو من الكاذبين» مسلم.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: 21 / 6]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 93]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: 144 / 6]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُذْبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتُوفَّوهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: 37 / 7]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: 17 / 10]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الذين يصدون عن سبيل الله وبيعونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون ﴿١٩﴾﴾ [هود: 18 - 19] ... (12) آية في القرآن الكريم تدم وتوبخ وتلعن من يكذب على الله وعلى رسوله ويكذب بدين الله والعياذ بالله، وقد ابتلينا بالمدرسة العقلية أو العقلانية، وهؤلاء الذين يحكمون عقولهم وآرائهم في الشريعة وفي أحكامها وفي تفسير آيات القرآن الكريم، وفي تفسير الأحاديث النبوية، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما تكلمت به ألسنتهم، وويل لهم مما يكسبون، لأنهم عملاء وأعداء لله تعالى وأعداء لدينه، يريدون إضلال الناس، وإضلال الجيل الناشئ، باعوا دينهم في سبيل مناصب زائلة ودراهم معدودة، باعوا آخرتهم بديانهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون ... قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا

يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتُ عَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ فَأَلَذِّبُكَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءٌ مَا يَرْزُقُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَفَى اللَّهُ بَنِيَنَّهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ [النحل: 16 / 20 - 26].

ثم إن هناك مشكلة أخرى، وهي عدم العلم بالقواعد الأصولية وبالقواعد الفقهية ولا يفرقون بين النصوص المطلقة والنصوص المقيدة، أو النص العام أو النص الخاص، ومرة سمعت أحد الخطباء وهو يقول: كل من يحلق لحيته فهو خالد مخلد في النار، لأن رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح «هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني». وبما أن اللحية هي من السنن الثابتة عن النبي ﷺ فمن حلقها فليس من النبي ﷺ في شيء، هذا الخطيب غفر الله له وردّه إلى الصواب لم يعرف الفرق بين السنة التعبدية والسنة التشريعية، السنة التعبدية يثاب فاعلها ولا يآثم تاركها، ولكن السنة التشريعية هي فرض وواجب يآثم تاركها، ولا يحق له التخلي عنها، ولو أن بعض الأساتذة يرون أن اللحية إما سنة مؤكدة جداً وهي شعار المسلم، ومنهم من يراها واجباً؛ لأن رسول الله ﷺ لما رأى الرجلين الروميين الحالقين لحيتهم، قال: «من أمركم بهذا؟ قالوا ربنا يعنون ملكهم، فقال أما ربي فقد أمرني بهذا»، ومنهم من يرى اللحية سنة، يثاب فاعلها ولا يآثم تاركها - والله أعلم - لكن أردت أن أوضح قضية الخلط وذلك نتيجة عدم العلم الشرعي وعدم الإحاطة بعلم استنباط الأحكام علم الأصول الشرعية أو الفقهية ...

وأخيراً أقول ثق بربك، وثق برسولك من باب أن تعتمد على النص الصحيح والفهم الصحيح الذي جاءك من النبي ﷺ، وانفتحت الأمة من قديمها عليه، والذي يدعوني إلى هذا القول، كثرة الذين يدعون الفهم الصحيح للدين والآيات الله ولأحاديث رسول الله ﷺ، فترى من يستقرأ ويقيس الآيات وينظر إليها بمنظار

آخر غير الذي نظر به الصحابة والتابعون، فأقول عليك بالنص الصحيح والفهم الصحيح الذي ورد عن النبي ﷺ وعن صحابته وعن التابعين، ففي هذا المسلك السلامة لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 4 / 115] ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

